بورخِس ومصادره الاستشراقية

أ.باهرة محمد عبد اللطيف

جامعة أوتونوما بمدريد

ملخص:

اهتم بورخس (Jorge Luis Borges) بالشرق، بمعناه الثقافي الواسع، طوال حياته وكرّس له ولتراثه الكثير من أعماله الإبداعية، وخصّ الشرق العربي الإسلامي بمساحة سخيّة من قراءاته ومن نتاجه الأدبي شعراً ونثراً.

ومع أنّ العالم قد احتفى به عبر كمّ هائل من الدراسات المتنوعة لرصد وتحليل أعماله من كافة جوانبها؛ فإن العالم العربي– باستثناءات قليلة– لا يزال يفتقر إلى الدراسات الخاصة ببورخس مستشرقاً. من هنا تنطلق فكرة هذا البحث الذي يتناول بالتحليل مصادر بورخس الأدبية والفكرية الاستشراقية.

بورخس بهاجسه الثقافي الكوني، نهل من حضارات وثقافات شتى وكان اهتمامه بالشرق العربي الإسلامي واضح البصمة في جزء كبير من أعماله، مقتفياً بهذا النهج خطى ونتاج مفكرين وفلاسفة وأدباء عالميين –أحبهم – كان الشرق قد اجتذبهم ومثّلوا في أغلبهم رموزا للاستشراق الأدبي والمعرفي [1].وهو يطرح نموذجا فريداً في الاستشراق الأمريكي اللاتيني والعالمي؛ لأنّه حظي بمصادر استشراقية متنوعة قلّما حظي بها كاتب أو مستشرق آخر لجملة أسباب سيتطرّق إليها البحث في الصفحات القادمة.

الكلمات المفتاحية:

بورخس، الاستشراق، الاستعراب، الشرق، الإسلام، الأدب العربي، ألف ليلة وليلة

Abstract:

Throughout his life, Borges wasinterested in the Orient in its widest sense, especially the cultural, dedicating to the Islamic Arab Orient a generous extension of his readings and writings, in prose and poetry.

Although the world has celebrated his literary production through a huge number of studies, analyzing it from distinct perspectives, however, the Arab world -with few exceptions –still lacksuch kind of efforts about Borges asOrientalist. Therefore, the idea of this work intentsto analyze the orientalist literary and intellectual sources ofBorges.

Borges, with his universal fondness,reding about various cultures and civilizations, the Arab and Islamic were one of them andits influence in his work are obvious. He was keen to follow the example of his favorite philosophers and writers fascinated by the Islamic Arab Orient who, mostly, represented a literary and epistemological Orientalism. Borges's example is unique in the Latin American Orientalism,thanks to his diverse sources; theme of this research.

Key words:

Borges, Orientalism, Arabism , Orient, Islam, Arabic Literature, Thousand and One Nights

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

تمهيد:

لقد كُتب عن بورخس منذ أواسط القرن العشرين وحتى يومنا هذا مئات الكتب والدراسات التي تناولت شتى أوجه حياته وإبداعه. وأخضعت أعماله الأدبية إلى تحليلات نقدية من مختلف المنظورات الأدبية والفلسفية والتاريخية واهتمت به كلّ الشعوب والثقافات لأنّها وجدت نفسها بنحو أو آخر منعكسة في مرآة أدبه الكوزموبوليتي. وكذلك فعلت بحذر ثقافتنا العربية التي لا تزال تقف مترددة على أعتاب عوالم بورخس الإبداعية وتضميناته واقتباساته وإشاراته القادمة من التراثين العربي والإسلامي. هذا على الرغم من جهود بعض الكتاب في المغرب ومصر والعراق وسوريا، على وجه التحديد، في ترجمة قلة من أعماله – عن الفرنسية والإنجليزية وقليل منها عن الإسبانية– وفي نشر بعض الدراسات الأولية المترجمة أو الموضوعة حول نتاجه الأدبي والفكري. ومع التأكيد على ضرورة ترجمة المزيد من أعمال بورخس وإعادة ترجمة بعض كتبه التي قدمت للقراء العرب على نحو أخفق في تقديم حقيقة هذا الكاتب، فإن موضوع الدراسة هذه يأمل في لفت أنظار الدارسين إلى مستوى آخر من أدبه، بهدف قراءة بورخس مستشرقاً أدبياً ومعرفياً عبر مصادره الاستشراقية –موضوع البحث.

بطبيعة الحال لن نشير هنا إلى الاستشراق بمعناه الواسع الذي يضم ثقافات الصين واليابان والهند–وهي أيضاً كانت من بين اهتماماته وإن كان ذلك على نحو أقل– بل نقصد التنبيه إلى نزعة بورخس الاستشراقية من خلال اهتمامه بالثقافتين العربية والإسلامية. وذلك أولاً لأن هذا الوجه يمثّل ملمحاً أساسياً من ملامح أدب بورخس [(2)]، ولأنّ الباحث أو الناقد الغربي قد أهمله لعقود طويلة واكتفى بالإشارة إلى "ألف ليلة وليلة" لحضورها البيّن في كتاباته، ثانياً. ولعل السبب في إهمال الباحث الغربي أو عدم تنبهه يعود إلى عدم توفره على العدّة المعرفية التي تتيح له القيام بمهمة التحليل والكشف عن هذه الآثار العربية الإسلامية في نتاج هذا الكاتب،. ليظل هذا الجانب مهملاً حتى وقت قريب. إذ ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات متفرقة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

لباحثين ومستعربين، من إسبانيا وأمريكا اللاتينية على وجه الخصوص، بحكم اطّلاعهم على تراث الأندلس وترسّخه في تكوينهم الثقافي والمعرفي، وهذا ما جعلهم يفطنون إلى هذا الجانب من نتاج بورخس الحافل بالعناصر العربية والإسلامية. يذكر المستعرب الإسباني خوسيه راميريث ديل ريّو (José Ramírez Del Río) بهذا الصدد:

"إن شغف خورخه لويس بورخس بالأدب العربي هو أمر شائع لدى تحليل أعماله، ومع أنه أمر لا جدال فيه؛ فإنه على غرار كل الأقوال الشائعة يبسّط، بل ويخفي جزئياً، ذلك الكم الهائل من الأعمال والموضوعات المستقاة من الأدب العربي الكلاسيكي الذي استخدمه هذا الكاتب كأساس لبعض أعماله. كما أن الاستعانة بموضوعات أدبية عربية في أعمال بورخس كانت تتجاوز بكثير مسألة توظيف كتاب ألف ليلة وليلة في أعماله" [(3)].

أما بالنسبة للباحثين العرب فقد كانت هناك مبادرات لنشر مقالات أو دراسات تناولت هذه القصّة أو ذاك المقال بالتحليل والإشارة السريعة إلى الأثر العربي لدى بورخس منذ أكثر من عقدين من الزّمن، قام بها كتّاب عرب ولكنها بقيت دراسات غير معمّقة وذلك لعدم الإلمام بمجمل نتاج بورخس الأدبي، وهو واسع متشعب– أكثر من ثمانين مؤلفاً– فضلاً عن صعوبته وغموضه وتعدد مصادره المعرفية على نحو يصدّ القارئ والباحث.

بورخس والاستشراق: البيئة الأولى:

كان لولادة بورخس عام 1899 في مدينة بوينوس آيريس (Buenos Aires) في كنف عائلة مستنيرة متعددة الثقافات ومنفتحة على ما سواها، أكبر الأثر في توجهه نحو الأدب والقراءة، بخاصة نحو الأدب الإنجليزي الذي مثل في مطلع حياته بوّابة أولى انطلق منها نحو الثقافات الأخرى، بسبب من جدته –لوالده– الإنجليزية التي علّمته أولى الحروف بهذه اللغة، وقادته منذ الطفولة إلى عوالم حكايات

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

ستيفنسن (Stevenson) وكبلنغ (Kipling) والسير أدوين أرنولد (Edwin Arnold)التي كانت تقرأها له بالإنجليزية.

ويعود الفضل في توجهه في وقت مبكر نحو الشرق لوالده خورخه غييرمو بورخس (Jorge Guillermo Borges) (1874–1938) المثقّف المحامي الليبرالي (الفوضوي المؤمن بأفكار الفيلسوف هربرت سبنسر (Herbert Spencer) والكاتب والمترجم المولع بالمؤلفات الإنجليزية والإسبانية. وكان انجذاب الأب الشديد نحو الشرق، قد دفعه لنقل رباعيات الخيام بترجمة فيتزجيرالد (Edward Fitzgerald) من الإنجليزية إلى الإسبانية، فضلاً عن رواية كتبها مستلهماً فيها طاغية من الشرق، ومجموعة قصص شرقية كتبها على غرار "ألف ليلة وليلة" وعمل مسرحي ضاع ولم يصلنا [4]. ولم يكن غريباً اهتمام الوالد بالشرق لأنّ مثقفي الأرجنتين في ذلك الوقت كانوا قد شرعوا في استكشافه منذ زمن كما سنرى لاحقاً. ثم إنّ جذوره الإنجليزية وتواصله مع الاستشراق البريطاني شكّل بالنسبة له – ولابنه بورخس لاحقاً– معيناً لا ينضب يوم كانت الإمبراطورية البريطانية وحشد مستشرقيها يتوجهان بكل ثقلهما نحو الشرق في أوج مرحلة الاستعمار البريطاني.

وقد تحدّث بورخس في سيرته الذاتية الصادرة بالإنجليزية عام 1970 [5] عن تأثير والده وعالمه الثقافي فيه بقوله: "لو تعيّن علي أن أشير إلى الحدث الأعظم في حياتي لقلت بأنه كان مكتبة والدي". وفي موضع آخر من سيرته يفصّل لنا قراءات والده المفضّلة في الأدب والفلسفة (بيركلي(Berkeley) وهيوم (Hume) ووليام جيمس (William James) والكتب التي تتحدث عن الشرق للين (Lane) وبيرتون (Burton) وباين (Payne)..) وكلها غدت لاحقاً قراءات واهتمامات بورخس الكاتب.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

بورخس والقراءات الاستشراقية:

في هذه البيئة الأولى الثريّة بتنوعها الثقافي، نشأ بورخس ثنائي اللغة يقرأ بالإسبانية والإنجليزية وتفتّح وعيه في مكتبة والده الحافلة بالكتب الإنجليزية التي سيبقى يتحدث عنها طوال حياته. ومن هناك انطلق ولعه الشديد بالكتب ورغبته المتصلة في الإبحار في عوالم الثقافات واللغات المتعددة التي أتقنها في مراحل حياته المبكرة. وهذه الرغبة ستجعل منه أسطورة في عالم القراءة التي فضلها على الكتابة مراراً سواء عبر حواراته، أو تأملاته الغزيرة بهذا الصدد. فقد حلم بورخس بـ"الكتاب الكلّي" الذي يجمع تراث البشرية كلها، وتاقت روحه لـ"كتاب الرمل" الذي " ليس فيه صفحة أولى أو أخيرة" (6). ولابدّ لدارس أدب بورخس من أن يدرك بأن "كتاب الرمل" كان بشكل أو آخر هو كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي افتتن به هذا الكاتب وكرّس له كتابات مطولة شعراً ونثراً.

كان بورخس بهذا المعنى قارئاً استثنائياً للثقافات الأخرى، استطاع أن يحيل قراءاته إلى كتابات مشرقة. وكان يعزو الفضل في ذلك إلى المنجز الإنساني العظيم الذي قرأه وتأثّر به فأعاد توليده أو كتابته وفق رؤية خاصة به، إذ كان يؤمن بأن الكتاب– أيّ كتاب– إنما يعاد ابتكاره مع كل قراءة جديدة له. وقد تخيل بورخس الفردوس على شكل مكتبة وأحالها إلى واحدة من ثيماته المتعددة، التي ظلّ يعالجها في كتاباته حتى رحيله عن الحياة. كما أعلى شأن القراءة واعتز ببورخس قارئاً أكثر منه كاتباً، تعينه في ذلك ذاكرة ثاقبة، وولع استثنائي بالقراءة والتوغل في الموضوعات الفلسفية والأدبية والتاريخية حتى أن النقاد كانوا يحرضونه على الحديث بأسئلة وحوارات لا تنتهي ليستزيدوا من معارفه. ولم يكن ليخيب ظنهم أبداً إذ كان يدهش المستمعين والمحاورين دوماً بذاكرته التي تتنقل بتلقائية وألفة ما بين الأفكار والفلسفات القديمة والأشعار الخالدة، لكتّاب وفلاسفة ومبدعين على مرّ العصور، وما أكثر من أحبّ من الشعراء والكتّاب. لقد كان يردد بعفوية على مسامع محدثيه أبياتاً من الشعر الإنجليزي، وأخرى

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

من الفرنسي أو الألماني، والعربي أيضاً. فقد كان اهتمامه بالشعر العربي واضحاً حين ينشد لأصدقائه ترجمة إسبانية لبيت شعري كان قد ذكره هو في إحدى مقالاته – نقلاً عن بيرتون– للعظيم المتنبي [7]:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلم

أو حين يبحث في قصته المعروفة " بحث ابن رشد"، حول مضمون بيت شعري لزهير بن أبي سلمى [8]:

رأيتُ المنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب تُمِتهُ ومن تُخطِئ يُعَمَّر فَيهرَمِ

هذا فضلاً عن إشاراته لشعراء آخرين من أصحاب المعلقات وشعراء الأندلس. وأولى اهتماماً خاصاً بعمر الخيام ورباعياته– سيراً على خطى والده– وبتراث الصوفية العربي والفارسي الذي كتب وحاضر فيه أيضاً عندما عمل أستاذاً في الجامعات الأرجنتينية والأمريكية والأوروبية.

إلى جانب بيئته الأولى تلك، ومواهبه الفذّة فقد سافر بورخس وتنقّل بين بلدان عدّة منذ صباه الأول، وأقام مع أسرته في جنيف (1914–1919) حيث تعلّم الألمانية والفرنسية، وتشبّع بتراث الكتّاب الألمان والفرنسيين من فلاسفة وأدباء ومفكّرين. ثم ارتحل هو وأسرته إلى إسبانيا (1919–1921و 1923–1924) واختلط بمثقفيها في مطلع عشرينات القرن الماضي. وهناك انفتح على التراث العربي الإسلامي من خلال حضارة الأندلس، قبل أن يعود إلى الأرجنتين كاتباً شاباً يشقّ طريقه في عالم الشعر والمقالة والترجمة والسرد القصصي لاحقاً.

لا يفوتنا هنا التذكير بعمل بورخس أميناً لمكتبة محلية في شبابه، ومع فقدان بصره في أواسط خمسيناته عيّن مديراً للمكتبة الوطنية في بوينوس آيريس (1955)، وكانت تلك واحدة من مفارقات القدر الذي أهداه الليل والكتب معاً على حد قوله. وقد زاده عمله هذا شغفاً بالقراءة وإقبالاً على الثقافات الأخرى، ومن بينها الثقافة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

العربية والإسلامية وحضارات الشرق العريقة الرافدينية والمصرية القديمة والفارسية، إضافة إلى اهتمامه بحضارات الشرق الأقصى الصينية واليابانية والهندية. وبورخس قرأ وكتب كثيراً في الفلسفات والأديان التوحيدية كاليهودية والمسيحية والإسلام، والأديان القديمة الأخرى كالصابئة المندائية واليزيدية والزرادشتية والبوذية والهندوسية، وعني بتجلياتها الأدبية بوجه خاص. كما كتب عن الشعر الصوفي الإسلامي والمسيحي، واهتم بالتيارات والطوائف الدينية الأخرى كالإسماعيلية والدرزية والبهائية والعلوية وأهل الحق. وقد وظّف هذا كله أدبياً في شعره وقصصه ولم يكتف فقط بتناوله في مقالاته ومحاضراته [9].

ثمة سبب آخر من بين الأسباب التي حملت بورخس على الانجذاب نحو "الشرق" الذي ظهر كواحد من أبرز ثيماته-إضافة إلى موضوعاته الأخرى الأثيرة كالمكتبة والعمى والزمن والمتاهة والفلسفة واللغات والأديان والشعر- تمثّل في عمله محرراً في مجلة (سورSUR). وهي مجلة أدبية فكرية أسستها الكاتبة والمثقفة الأرجنتينية فيكتوريا أوكامبو(Victoria Ocampo Aguirre)، فتحت أبوابها لعدد كبير من الكتّاب العالميين وترجمات أعمالهم. وكان الاهتمام بالشرق الآسيوي واضحاً في منشوراتها، ربما بتأثير من صداقة احتفظت بها الكاتبة أوكامبو مع شاعر الهند الكبير طاغور (Tagore) أو لأن الاهتمام بالشرق في تلك المجلة كان قاسماً مشتركاً بين كتّابها ومحرّريها. وفي هذه المجلة نشر بورخس عدداً كبيراً من الموضوعات الشرقية العربية الإسلامية التي كان يترجمها مباشرة من مصادره الإنجليزية بالدرجة الأولى، أو يستلهمها من قراءاته بالإسبانية أو بلغات أخرى لمؤلّفين عنوا بهذا الموضوع[10].

ومن بين الأسباب الأخرى التي دعت بورخس للاهتمام بالشرق ونتاجه في الأرجنتين، بوسعنا أن نذكر الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية، الأرجنتين على وجه الخصوص، والحضور الثقافي العربي لبعض المغتربين العرب في تلك الأعوام. فقد نشطت على الساحة الأدبية الأرجنتينية شخصية دبلوماسية عربية استثنائية كان لها حضورها

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

المؤثر، هو الأمير أمين أرسلان (Emin Arslan) ودوره في نشر الثقافة العربية والدفاع عنها عبر كتب عدّة من بينها: "حقيقة الحريم" (1916) و" ذكريات الشرق" (1930) و"أسرار الشرق" (1932) و"الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي" (1933) وكتاب "العرب" (1941).

كان الأمير أرسلان من الطائفة الدرزية – وهي طائفة دينية استهوت بورخس في كتاباته– وقد وصل الأرجنتين قنصلاً مبعوثاً من الدولة العثمانية (1910) إلا أنه غيّر مساره إثر انهيارها في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقرّر البقاء هناك مغترباً، بعد أن صدر بحقه حكماً بالإعدام لمعارضته الشديدة للسياسة العثمانية في البلاد العربية. وقد نشر الكثير من الأعمال والمؤلّفات وأسّس مجلة "لانوتا" (La Nota) (1916–1921) التي استقطبت أقلاماً مهمة من الأدباء كليوبولدو لوغونيس (Leopoldo Lugones) والفونسينا ستورني (Alfonsina Storni) وأرتورو كانثيلا (Arturo Cancela)[11].

ما يهمّنا هنا هو أن بورخس قد تعرف إلى هذه الشخصية العربية الاستثنائية في قاعة تحرير مجلة (أوغار)، حيث عمل بورخس كاتباً، والتقاه أيضاً في مجلة (سور) إذ ارتبط كلاهما بصداقة مع الكاتبة فيكتوريا أوكامبو (Victoria Ocampo) . وقد استلهم بورخس شخصية الأمير أرسلان في واحدة من قصصه المعروفة التي ألّفها بالاشتراك مع صديقه المفضّل أدولفو بيوي كاساريس(Adolfo Bioy Casares) في كتاب:"ست مشكلات للدون إيسيدرو بارودي" [12]، وأطلق على الشخصية الرئيسية، رئيس طائفة الدروز، اسم "ابن خلدون". وذلك كنوع من التوازي بين حياة الأمير أرسلان الدبلوماسي والكاتب وصاحب القضية– وكان رئيساً للطائفة الدرزية في الأرجنتين– وحياة المؤرخ وعالم الاجتماع المفكّر والدبلوماسي أيضاً ابن خلدون.

لكلّ ما تقدّم ولأسباب أخرى لا يتّسع المجال لسردها هنا، فقد أتيحت لبورخس فرصة هائلة للاطلاع على ثقافات الشرق وكانت كتاباته تزخر بمعلومات دقيقة عن العرب والمسلمين وتراثهم. وما كان يبدو حكراً معرفياً على مستشرقين من

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

هذا البلد أو ذاك كان في متناول عقله المنفتح على ثقافات العالم. وقد أخضع جميع مصادر معرفته لذاكرة ذلك الضرير الفذّة ولعبقريته في تمثّل وإعادة إنتاج قراءاته خدمة لأدبه الإنساني. لذا أيضاً بدت نتاجاته مستعصية على الفهم، لأنّه يتحرك في مدارات معرفية كونية يجهلها القارئ، مع أن هذا الأخير غالباً ما يجد نفسه مأخوذاً بها بسبب من روعة أسلوب بورخس ولغته المشرقة المستفزة بتقشفها.

بورخس واكتشاف الشرق:

"لقد كان الحدث العظيم في تاريخ الأمم الغربية هو اكتشاف الشرق". هكذا أوجز بورخس اكتشاف الشرق بالنسبة للغربيين –وهو ما يذكّرنا بالحدث الأعظم في حياته أيضاً باكتشاف مكتبة والده– ويضيف قائلاً:

"عندما نقول "الشرق" أحسب أننا جميعاً نفكر مبدئياً بالشرق الإسلامي، ومن ثم بالشرق المتمثّل بشمال الهند. هذا هو المعنى الأول الذي تستدعيه هذه المفردة وهو بفعل تأثير "ألف ليلة وليلة". وثمة شيء ما نستشعره من خلاله "الشرق" شيء لم أحسّ به في إسرائيل ولكني أحسست به في غرناطة وقرطبة. لقد أحسست بحضور "الشرق" وهو أمر لا أدري إن كان بوسعنا تعريفه، وبأية حال لا أعرف إن كان من المجدي وضع تعريف لشيء نحن جميعاً نستشعره على نحو حميم. فنحن مدينون بإيحاءات هذه المفردة لكتاب "ألف ليلة وليلة" وهذا هو أول ما يخطر ببالنا، بعد ذلك لنا أن نفكّر في ماركو بولو أو أساطير الكاهن يوحنا وبأنهار الرمال وأسماك الذهب تلك. فنحن في المقام الأول نفكّر في الإسلام" [13].

اكتشف الغرب الشرق من خلال "ألف ليلة وليلة" بترجمة أنطوان غالان (Antoine Galland)، بيد أن بورخس اكتشف الشرق (العربي الإسلامي) في طفولته المبكّرة حين قرأ، وهو لم يبلغ بعد العاشرة من العمر كتاب "ألف ليلة وليلة" بترجمة ريتشارد بيرتون. لقد ألهب هذا العمل خيال بورخس الطفل وسكن ذاكرته وظل يهذي به حتى آخر لحظة في حياته. يقول عن هذا العمل الخالد، في سيرته:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

" كان كتاب "ألف ليلة وليلة" بترجمة بيرتون – الحافلة بما كان يعدّ آنذاك من الفواحش– محظوراً عليّ، وكان لا بد لي من قراءته خفية على سطح الدار. لكني في ذلك الوقت كنت متأثراً جداً بسحر الكتاب حتى أني لم أتنبه لتلك الأجزاء الممنوعة وقرأت الحكايات، ولم أكن أعي أي معنى آخر سوى ذلك السحر" [14].

من هنا فقد خصّ بورخس هذا المؤلف بدراسات واستلهمه كثيراً في الشعر والقصة والنقد. ومن أهمّ ما كتبه هو تلك الدراسة التي تناول فيها ترجمات هذا العمل الاستثنائي والمقارنة التي عقدها ما بين ترجمات المستشرقين المعروفين: ريتشارد بيرتون وإدوارد لين بالإنجليزية، وأنطوان غالان والدكتور ماردروس (Mardrus) بالفرنسية، وكانسينوس أسينس (Cansinos Asséns) بالأسبانية، وليتمان (Littmann) بالألمانية. وقد كرّس محاضرات عدّة في بلاده وخارجها للحديث عن هذا الأثر الخالد، وكان يستشهد به مراراً في حواراته وكتاباته. كما أنه استفاد أيضاً من البناء الروائي والأسلوب الحكائي للعمل، بل وانتحل بعضاً من قصصه ومتاهاته أيضاً في أسلوب غدا واحداً من سمات بورخس في السرد القصصي: الانتحال الأدبي.

لعل من المناسب أن نشير هنا إلى أن بورخس –الصبي– قرأ العمل وافتتن به من قبل أن يتشكّل وعي الكاتب بورخس، لذا فهو حين يتحدّث عن كل ما له صلة بالعرب وبثقافتهم، لا يفعل هذا فقط من خلال وعي المثقف الكوني، بل هو يستعيد أيضاً بعضاً من تجربته الروحية مع عالم "ألف ليلة وليلة" وأجوائه وبيئاته العربية والإسلامية، وجميعاً نعرف ما للقراءات الأولى من أثر باق في النفس– وفي التواصل مع جزء من الطفولة والشباب المرتبط بها. أي أنه في هذا الإقبال نحو الشرق العربي المسلم لا ينطلق من مواقف براغماتية استشراقية ميزت كتابات لا عدّ لها لكتّاب غربيين ومواقفهم التي ارتبطت في كثير من الأحيان بالعقلية الاستعمارية أو بالرؤية التبشيرية المنطلقة من المسيحية المتشددة، التي رأت في الإسلام خطراً داهماً وعدواً لا بد من محاربته، ونموذجاً حسياً يتهدد طهرانيتها. ربما لأن بورخس لم يعش في كنف عائلة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

مسيحية تقليدية بل تربى على أفكار أبيه الفوضوي الليبرالي. وهو نفسه كان لاأدرياً متشككاً ولم يتوان عن نقد الفكر المسيحي في أعماله وحواراته. لذا فإن تقبله للأفكار والمعتقدات الدينية الأخرى لم يكن بالأمر المستغرب، لأنه يتعامل مع جميع الفلسفات والأديان من منظور المعرفة لا الإيمان بالفكرة أو الأيديولوجيا [15]. وهكذا فإن قرّاءه من اليسار واليمين ومن شتى المشارب الفكرية والمعتقدات الدينية والثقافات، يقبلون على قراءة أعماله بشغف عظيم لأنه أولاً وأخيراً قد أعلن انتماءه لقيم رواقية ثقافية خالدة، وانتمى طواعية لزمان قديم. فهو يعترف ببساطة وقناعة قائلاً: "لا أعرف شيئاً عن الأدب المعاصر، ومنذ زمن بات معاصريّ هم الإغريق" [16].وقد برّر نظرته الرجعية هذه وميوله اليمينية بقوله: إنه حين فقد بصره في عام 1955 لم يعد قادراً على التواصل مع معاصريه من الكتاب، وبما أنه كان يستعين بآخرين للقراءة له فإنه كان يحبّذ أن يقرؤوا له – أو يعيدوا قراءة– كتب الأدب والفلسفة والتاريخ التي أحبها. وكان يعترف بأن "المعاصر لا يهمّني لأني أعتقد أنه سيشبهني، فأنا أولاً وأخيراً معاصر أيضاً، في حين أن المرء عندما يدرس آداب العصور الأخرى يمكن له أن يعثر على مستجدات" [17]. وكان يكرّر باستمرار أنّ ما من كاتب يرغب في أن يكون مديناً بشيء لمعاصريه.

كان بورخس يحلم بأن يصبح كاتباً ينتمي لسلالة كبار شخصيات التاريخ التي أسرته منذ طفولته واحتلت أفق حياته الفكرية. وكان يعرف أن الطبيعة قد سلبته الكثير على صعيد القوة الجسدية وقابلياته الاجتماعية – وهو الخجول الهش المنطوي في فترة طفولته وشبابه. وكان يوقن بأنه لن يكون صانع تاريخ بمعنى الفعل أو الحدث كما فعل أسلافه من القادة العسكريين، بل عبر الكتابة. لذا فقد تنبه منذ مطالع حياته لأثر قوة العقل، وحاول أن يحاور من خلاله كتّابه وفلاسفته الذين عشقهم وتأثرّ بهم وحلم بقدر مماثل لقدرهم. ولم يتردد طوال حياته في التصريح بإعجابه بهم، وتأثره بنتاجهم الفكري بغض النظر عن المكان أو الزمان أو الثقافة التي ينتمي إليها هؤلاء لأنه كان كوني

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

النزعة، كوالده الذي لطالما تشبّه به في كثير من خصاله [18]. وحين شعر بدنو أجله أراد أن يؤكد نزعته الكونية هذه، فقرر أن يموت ويدفن في مدينة جنيف، مرتع صباه، قائلا لصديق عمره الكاتب أدولفو بيوي كاساريس الذي أعرب عن استغرابه لفكرة رحيله عن الوطن وقد استفحل لديه المرض العضال عام 1986: إن أية بقعة في الأرض تصلح كي يموت المرء فيها.

بورخس ومصادره الاستشراقية:

لقد قدّر لبورخس بسبب من كونه كاتباً أرجنتينياً من أمريكا اللاتينية من أب ذي أصل إنجليزي وأم من أصول إسبانية برتغالية، أن يتحاور مع ثقافات شتى وأن يطلّ على الشرق العربي الإسلامي من مصادر استشراقية متنوعة. لذا فهو يمثل نموذجاً في الاستشراق الرامي إلى المعرفة الإنسانية لذاتها والاكتفاء بلذة النص واكتشافه بغض النظر عن انتمائه لأي من الثقافات أو الشعوب. وبسبب من نزعته المعرفية المتشككة فهو لا يأخذ مضمون القراءة أياً كان على نحو قاطع، بل يبقيه ضمن نطاق الممكن والمحتمل.

وبوجه عام نحن لا نجد في كتابات بورخس ميلاً للإسراف في الإطراء أو الذم بل نراه يعتمد الحجة المنطقية المستندة إلى الشواهد والنصوص عبر تحليلات مفتوحة النهايات. وبورخس المتشكك اللاأدري لا يسلّم بالفكرة على عواهنها مهما بدت جذابة بل ينقّب فيها ويتعمّق، وغالباً ما يطرح تساؤلات ويبرز معضلات فكرية، لكنه أبداً لا يقدّم حلولاً بل خيارات. ومع أن عدّته في المسائل الشرقية آنذاك كانت في كثير من الأحيان تستند إلى مجلدات الموسوعات المتنوعة –وخصوصاً الإنسكلوبيديا البريطانية والألمانية والفرنسية– التي رافقته منذ طفولته حتى آخر حياته، فإنه كان يضاهي تلك المعلومات بمصادر من لغات أخرى أتقنها وصولاً إلى الاستنتاج المناسب. وهذا ما فعله مثلاً في دراسته المهمة "مترجمو ألف ليلة وليلة"التي قام من خلالها بمراجعة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

ترجمات مختلفة بلغات عدة لهذا العمل الإنساني العظيم الذي عشقه وبالغ في استثمار عناصره [19].

ولعل أعظم ما أتيح له هو فرصة قراءة آداب الشعوب الأخرى بلغاتها فهو لم يقف على أعتاب الثقافات الأخرى بل توغّل فيها وارتحل مستكشفاً الكثير مما يفوت عادة على قراء الترجمات فقط. وبهذا كان يتفادى التسليم بما تنطوي عليه تلك الترجمات من أحكام ومن أخطاء بريئة –أو متعمدة– باستثناء بعض اللغات التي كان يجهلها ومن بينها العربية. مع ذلك فقد خصص، ومنذ وقت مبكر، مساحة من جهده لفهم اللغة العربية وألفاظها وقواعدها ومعانيها، فضلاً عن النتاج الأدبي والفكري المكتوب بها. بل وحاول مذ كان في العشرين من عمره أن يتعلمها يوم كان يعيش في أشبيلية بإسبانيا مع والديه [20].

بورخس والاستشراق البريطاني:

لقد كان الاستشراق الإنجليزي هو فاتحة الطريق الذي وصل بورخس بشرق توارث الافتتان به عن أبيه. ومنذ الطفولة الأولى كان تراث المستشرقين الإنجليز الذي زخرت به مكتبة والده الحافلة بمؤلفاتهم هو المعين الأول، ورأينا كيف أنّ من أولى وأهمّ الأعمال التي قرأها في صغره كان كتاب "ألف ليلة وليلة" بترجمة بيرتون. واللافت للانتباه أن أول عمل ترجمه بورخس في طفولته ونشره له والده، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره بعد كان قصة "الأمير السعيد" لأوسكار وايلد (Oscar Wild). وهي حكاية جميلة فيها عناصر شرقية تتحدث عن تمثال الأمير والطائر الذي يريد أن يرتحل إلى مصر، وفيها إشارات إلى النيل والأهرامات وأبي الهول. ثم قرأ في شبابه وكهولته مؤلفات لا تحصى لكبار الأدباء المهتمين بالشرق والمستشرقين الإنجليز، وأعجب بكثير منهم وأفرد لهم صفحات مطوّلة من كتاباته وتحليلاته النقدية. ولا ننسى هنا كارلايل (Thomas Carlyle) الذي أعجب به وكتب عن عمله المعروف "عن الأبطال وعبادة البطل" الذي تحدّث فيه عن شخصية النبي محمد (ص). ولا يسعنا في هذه العجالة إلا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

أن نورد بعض تلك الأسماء المعروفة لكتّاب وأدباء أو رحّالة ومغامرين بريطانيين، ممن اهتموا بالشرق وانعكس ذلك في كتاباتهم، منهم من جاب الشرق ووضع كتباً ودراسات فيه لأغراض متعددة، بعضها يتجاوز الهاجس الأدبي ليصبح أداة للسياسي: ريتشارد بيرتون، توماس كارلايل، أتش جي ويلز (H.G.Wells) ، برناردشو (Bernad Shaw)، إدوارد لين، مونتجمري وات (Montgomery Watt)، إدوارد جيبون (Edward Gibbon)، تشيسترتون (Chesterton)،دي كنس(Di Quincey) ، تي أي لورنس(T.E.Lawrence)، اللورد بايرون (Lord Byron) ، شيللي(Shelly)...[21]

القائمة تطول إلا أنّ ما يعنينا هنا هو أنّ بورخس اطّلع على كتابات المستشرقين المتحاملين على الإسلام، ممن غمطوا العرب حقّهم كصناع ثقافة وشركاء في الحضارة الإنسانية، بيد أنّه لم يقع أسير النظرة الشوفينية المناوئة للعرب والمسلمين وتراثهم، بل راح يعرض الكثير من أفكار المستشرقين المنصفين ويفرد لها مساحات من كتاباته ويرددها في حواراته، لأنه يدرك حجم الإسهام الفكري الإنساني الذي خلفته الحضارة العربية والإسلامية، ولأنّ بورخس ظلّ طوال حياته معنيّ بالجانب الثقافي– المعرفي أكثر من السياسي في كل ما قرأ وكتب وصرّح به في أحاديثه الصحفية.

بورخس والاستعراب الإسباني:

لم يكن بورخس ككاتب أرجنتيني ينتمي إلى المركزية الأوروبية واستشراقها تماماً، بل كان ينتمي أولاً إلى الاستشراق الإسباني– الأمريكي اللاتيني، أما الاستشراق البريطاني فقد فتح أبواب الشرق المعرفية أمامه على مصراعيها منذ طفولته الأولى قبل أن يتعرف عليه لاحقاً كشرق (مشرقن) على يد حركة الاستشراق الكولونيالية. وبوسعنا القول إنّ الاستعراب — وليس الاستشراق– الإسباني، من خلال تراث العرب المسلمين وما خلفوه من شواهد آثارية قائمة في الأندلس حتى يومنا هذا، كان التجسيد الأول لقراءاته الإنجليزية عن الشرق الفانتازي الذي سكن خيال الصبي بمغامرات "ألف ليلة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

وليلة". وهكذا راحت قصائده تحفل بإشارات لتراثهم، وهو بعد في مطلع عشريناته وصارت تتردد أسماء لمعالم عربية إسلامية، كقصر الحمراء وجامع قرطبة، وإشارات إلى شخصيات من تاريخ الإسلام ورسوله وخلفائه. ولم يتردد في القول في قصيدة ضمّها ديوانه الشعري الأول الذي أصدره لدى عودته من إسبانيا عام 1923 بأنّ في عروقه تسري دماء أسلاف هم:

"الساكسون والعرب والقوط/ الذين من غير أن أدرك أنجبوني" [22].

في إسبانيا التقى بورخس بتاريخ العرب والمسلمين وقصصهم وملاحمهم وعمارتهم، بفلاسفتهم وشعرائهم وأبطالهم، بانتصاراتهم وانكساراتهم، واستلهم من كل ذلك الكثير في قصصه وقصائده. هناك أيضاً تعرّف على شخصية مهمّة أثّرت فيه، هو الكاتب الإسباني الإشبيلي رافائيل كانسينوس أسينس Rafael Cansinos Assens (1882–1964) الشاعر والروائي والناقد والمترجم الذي جمع ثقافة الشرق والغرب، وكان يزهو بقدرته على "تحية النجوم بأربع عشرة لغة". كان هذا الكاتب قد تحوّل إلى اليهودية بعد أن اكتشف أن جذوره تعود إليها، وأن أسلافه قد تحولوا إلى المسيحية خوفاً من بطش محاكم التفتيش. وقد كتب وترجم في مجالات مختلفة بحكم تنوع قراءاته بلغات عدة من بينها، العربية التي كتب بها أجزاء من مذكراته حول الحرب الأهلية الإسبانية. وقد ترجم لغوته Goethe ودستويفسكي Dostoïevski وبلزاك Balzac وباربوس بلغاتهم، وترجم أيضاً من العربية نحو الإسبانية القرآن الكريم وكتاب "ألف ليلة وليلة"، ووضع كتاباً في سيرة الرسول محمد (ص) بعنوان "محمد والقرآن" تحدث فيها بتقريض كبير وإعجاب بشخصية الرسول بوصفه واحداً من أعظم العباقرة –كموسى وزرادشت Zoroastre وبوذا Bouddha وكونفوشيوس Confucius– الذين أنجبتهم البشرية، وحثّ على قراءة القرآن كونه مرجعاً يخصّ الجميع [23]. كما نقل عن الفارسية قصائد من الشعر الصوفي للخيام وشيرازي وجامي وسعدي والعطار وآخرين. وكان هذا المستشرق الإسباني من أهم الشخصيات التي أثرت في بورخس حين التقاه في إسبانيا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

في مطلع عشريناته. وقد خصّه بورخس فيما بعد بأكثر من قصيدة ومقال، من بينها مقاله "كانسينوس وألف ليلة وليلة" (1960)، واحتفظ معه بصداقة واحترام دفعاه لأن يناديه طوال حياته بـ" معلّمي" لأنّه كان يرى فيه عالماً معرفياً مصغراً جمع الشرق والغرب في ثقافته ونتاجه الفكري، عالماً يلبي تطلّعاته نحو الكونية.

من تراث الأندلس أيضاً استلهم بورخس شخصيات معروفة في التاريخ العربي الإسلامي كابن خلدون – كما رأينا آنفاً – كما وظّف رواية ابن رشد وموقف المستشرق رينان (Ernest Renan) منه في كتابه "ابن رشد والرشدية"، في قصّته المعروفة "بحث ابن رشد". وأفاد من التراث الفلسفي الإسلامي فاستلهم المذهب الظاهري في قصته المشهورة "الظاهر" [(24)]. وكذلك أشار في كتاباته إلى الكثير من الشخصيات العربية والإسلامية كهارون الرشيد والمأمون وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وطارق بن زياد وموسى بن نصير وسواهم من الشخصيات التاريخية، التي نسج منها قصائد وقصصاً ومقالات. تماماً كما أفاد من قبل من شخوص وعناصر السرد في "ألف ليلة وليلة" (شهرزاد، شهريار، السندباد، طائر الرخ، جبل قاف ..) وأعمل فيها قلمه النقدي مفسراً وشارحاً ومتأملاً في العنوان الذي عدّه الأجمل في العالم، وفي بناء هذا العمل الفني وأسلوبه ومضامينه.

ومن التراث الأدبي الإسباني الثرّي نهل بورخس من تأثيرات الثقافتين العربية والإسلامية، فأعجب برواية سربانتس Cervantes "الدون كيخوتة" التي قرأها في طفولته بالإنجليزية وكتب عنها نقداً واستلهمها في عمله القصصي "بيار مينارد مؤلف الكيخوتة"[(25)]. وكما هو معروف فإنّ هذا العمل الإنساني الخالد حافل في مواضع كثيرة بتأثيرات الثقافة العربية والإسلامية، وكان ثربانتس ممن تعاملوا باحترام مع الدين الإسلامي برغم أعوام الأسر التي قضاها في الجزائر [(26)]. كما أن بورخس قرأ وتفاعل مع مؤلفات إسبانية أخرى كثيرة زاخرة بالأجواء والتأثيرات العربية الإسلامية، من بينها

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

"ملحمة السيد القمبيطور" [27] وكتاب "الحب المحمود" لخوان رويث Juan Ruiz ، وهو العمل المتأثّر بمؤلّف "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي [28].

لقد قرأ بورخس –وهذا ما نستنتجه من خلال كتاباته– مؤلفات لكبار المستعربين من نتاج حركة الاستعراب الإسباني ذي الخصوصيات المميّزة ومن أهمّهم: آسين بالاثيوس (Miguel Asín Palacios) الذي نبّه إلى التأثيرات الإسلامية في "الكوميديا الإلهية" من خلال كتابه "دانتي والإسلام" (1927) كما أصدر كتاب "آثار الإسلام" عام 1941. وكذلك دراسات أميركو كاسترو (Américo Castro) المهمة التي نبّهت الإسبان لتاريخ العرب في الأندلس، والمستعرب أميليو غارثيا غوميث (Emilio García Gómez) الذي ترجم إلى الإسبانية مؤلف "طوق الحمامة" والكثير من الشعر العربي الأندلسي والجاهلي.

بورخس والاستشراق الفرنسي:

لم يقتصر هذا الولع الاستشراقي البورخسي على النهل من المصدرين الإنجليزي والإسباني فقط في التعرف على الشرق العربي الإسلامي، بل أطلّ بورخس على النتاج الاستشراقي الفرنسي وخصوصاً ما ألّفه كبار الكتاب الفرنسيين حول هذا الشرق. فقد تعلم بورخس الفرنسية في الخامسة عشرة من عمره حين أقام مع أسرته في جنيف وأتقنها إلى جانب الألمانية، وتعرف على أعمال كبار الأدباء والمفكرين بكلتا اللغتين. وهناك أيضاً قرأ بالفرنسية لهوغو(Victor Hugo) والكساندر دوماس (Alexandre Dumas) وفلوبير(Gustave Flaubert) وموباسان (Guy De Maupassant) وفيرلين (Paul Verlaine) ورامبو(Arthur Rimbaud) وبودلير (Charles Baudelaire)ولامارتين (Alphonse de Lamartine) وغوستاف لوبون (Gustave Le Bon) ولويس ماسينيون (Louis Massignon)،.. وخصّهم باهتمامه في الكثير من مقالاته، ومعلوم مدى انكباب هؤلاء الكتّاب على موضوعة الشرق، مع اختلاف الرؤى.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

تذكر الكاتبة أليثيا خورادو (Alicia Jurado) في كتابها عن بورخس، وكانت صديقة مقرّبة له، أنّ بورخس حدّثها عن أول رواية قرأها بالفرنسية في جنيف، عندما كان في سنّ الخامسة عشرة، وهي رواية "تارتاران من تاراسكون" لألفونس دوديه (Alphonse Daudet)(1872) التي تدور أحداثها ومغامرات بطلها في الجزائر [29]. وهذا الاختيار يؤكد من جديد اهتمامات بورخس الفتى المبكرة. ربما لأنها بأجوائها الشرقية مثّلت له امتداداً لعوالم "ألف ليلة وليلة" التي عشقها منذ طفولته ولشرقها الذي انجذب إليه.

بورخس والاستشراق الألماني

أما بخصوص مصادره الاستشراقية الأخرى، ونعني بها الألمانية تحديداً، فقد قرأ بورخس في جنيف أيضاً بالألمانية وفي سن مبكرة مؤلفات كانت (Immanuel Kant) وشوبنهاور (Arthur Schopenhauer) وأقبل على قراءة الأعمال الأدبية لغوته (Goethe). ومعروف مدى إعجاب غوته بالشعر العربي والتراث الإسلامي واهتمامه بنحو خاص بالمتنبّي وأبي تمام وشعراء المعلّقات وسواهم، وببعض الشعراء الفرس كحافظ الشيرازي والفردوسي وجلال الدين الرومي، وهو المسار الذي انتهجه بورخس لاحقاً بالاهتمام بهذه الرموز الشعرية العربية والإسلامية عبر قراءاته الألمانية وتوظيف هذه الشخصيات ونتاجها الأدبي في كتاباته والإشارة إليها في أحاديثه [30].

ولا يخفى على المعنيين بشؤون وشجون الاستشراق الغربي، أن الاستشراق الألماني نأى دوماً بنفسه عن المشروع الكولونيالي في منطقتنا. وهكذا تشرب بورخس هذه الموضوعات الشرقية عبر قراءاته واهتمامه بفلاسفة وكتّاب ألمانيا ومستشرقيها بعيداً عن النظرة الاستشراقية التقليدية السالبة، والنبرة الشوفينية المتعالية لبعض المستشرقين الغربيين. وقد ساعده في ذلك أنه استوعب نتاجات الفلاسفة والكتاب الألمان بلغتهم، تماماً كما فعل مع كتابات المستشرقين الإنجليز والأمريكان –واشنطن إيرفنج– ومع الفرنسيين والإيطاليين، والإسبان بطبيعة الحال.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

ولم يكتف بورخس بقراءة نتاج هؤلاء المستشرقين وموضوعاتهم التي تخصّ العالم العربي والإسلامي، بل تأثّر بهم وكتب عنهم وعنها مراراً وذكرهم في حواراته ولقاءاته الصحفية ومحاضراته، وترجم لبعضهم أو قدّم للترجمات التي صدرت عن أعمالهم باللغة الإسبانية.

بورخس والاستشراق الأمريكي اللاتيني:

غالباً ما يُقرن الاستشراق بالعالم الغربي، الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنّ الواقع يثبت أنّ هذه الظاهرة امتدت لتشمل العالم كله بما في ذلك القارة الأمريكية اللاتينية (الناطقة بالإسبانية والبرتغالية) على الرغم من بعد المسافة الجغرافية. وقد بدأ ذلك الاهتمام مبكّراً نظراً لوجود تأثيرات إسلامية وعربية واضحة في هذه القارّة منذ زمن بعيد، الأمر الذي يرجّح طروحات القائلين بانتقال هذه العناصر إليها مع حملات ماجلان Fernand de Magellan وكرستوفر كولومبس Christophe Colomb [31]. ولاحقاً ثمّة الكثير من الأعمال الأدبية والمؤلفات التي تحدّثت عن الشرق وضعها أدباء ومثقفون ورحّالة ومبشّرون قصدوا الشرق للحجّ إلى الأرض المقدسة في فلسطين، أو لزيارة مصر أو شمال أفريقيا. ولعل أول هؤلاء هو فرانثيسكو ميراندا Francisco de Miranda الذي زار مليلة في عام 1774م، ومن ثم زار مصر والدولة العثمانية عام 1786 وكتب الكثير من التعليقات التي امتدح فيها روعة المدن، وحسن التنظيم وقارن بين ما رأى من نظافة الأتراك وقذارة الفرنسيين [32].

وفي القرن التاسع عشر ذهب دومينغو فاوستينو سارميينتو (Domingo Faustino Sarmiento) الكاتب والسياسي –ورئيس الأرجنتين (1868–1874) – إلى الجزائر وكتب "رحلات في أوروبا وأفريقيا وأمريكا"، وأصدر أيضاً كتابه الشهير "فاكوندو" الذي عكس الكثير من العناصر الشرقية. كذلك قام الكاتب الصحفي والدبلوماسي لوثيّو بيكتوريو مانسيّا (Lucío Victorio Mansilla) (1831–1913) بزيارة البحر الأحمر ومصر وألّف كتاباً بعنوان "زيارة إلى الأهرامات" [33].

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

أمّا في القرن العشرين، فقد ظهر عدد كبير من الكتّاب الذين اهتموا بالشرق، خاصة في الأرجنتين حيث برزت أسماء لمثقّفين من أمثال: أنخل أسترادا (Ángel de Astrada)(1840–1918) الذي أظهر ولعاً شرقياً في عدة أعمال من بينها "صوت النيل" (1903) وفيه تحدّث عن رحلته إلى مصر، وألبارو ميليان لافينور (Álvaro Millán Lafinur) وكارلوس ألداو (Carlos Aldao) وأرنيستو كيسادا (Ernesto Quesada) وريكاردو غويرالديس (Ricardo Güiraldes) ومانويل غالبيث (Manuel Galvéz)...[34]. وقد استأثر عالم الشرق باهتمامهم ووجدوا أنفسهم مدفوعين برغبة اكتشاف ذاك العالم الذي مثّلت "ألف ليلة وليلة" بوّابته، وهو ما حدث مع الكاتب ليوبولدو لوغونيس (Leopoldo Lugones) وجيل الحداثة الأدبية الناطقة بالإسبانية، ورمزها الأشهر الشاعر روبن داريّو (Rubén Darío) المعروف باستدعاءاته وإحالاته الشرقية. كانت رغبة هؤلاء تتخطى مسألة الانجذاب العابر نحو غرابة الشرق أو البحث عن معادل روحي أو صوفي، يستعيضون به عن مادية الغرب أو أفول قيمها في أعقاب الحرب العالمية الأولى؛ إذ كانوا كلهم تقريباً قد جابوا مختلف البلاد الشرقية في الوقت عينه الذي زاروا فيه أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت نقطة الانطلاق بالنسبة إليهم أيضاً، هي قراءة العمل الخالد "ألف ليلة وليلة" بترجماته المتعددة ابتداء بغالان ومروراً ببيرتون ولين وماردروس. وثمة الكثير من الأعمال الاستشراقية التي لم تخضع بعد للدراسات المعمقة، وكلها تبيّن مدى الاهتمام بالعرب وثقافتهم وبالمسلمين وديانتهم. وقد تنبهت لهذا الأمر بعض الجامعات في أمريكا اللاتينية فأخذت توجّه اهتمامها نحو دراسات الاستشراق وذلك في أعقاب الأصداء الكبيرة التي أحدثتها آراء المفكّر الراحل إدوارد سعيد، والتحوّل الذي طرأ على الدراسات الاستشراقية كردّ فعل على كتابه "الاستشراق".

على أية حال فإن "الشرق" الذي طرحه استشراق "الأطراف" الأمريكي اللاتيني ظلّ يتراوح ما بين الواقعي والمتخيل، ملامحه تكاد تماثل في بعض الأوجه

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

الاستشراق الغربي، ولكنه يبقى مختلفاً من حيث الأهداف، فهو لا يشاطر الاستشراق "الكلاسيكي" طروحاته الاستعمارية والإمبريالية التي وسمت حركة الاستشراق الغربي المركزي.

وفي هذا السياق برز الاهتمام برموز الثقافة العربية والإسلامية، من خلال مؤلفات روبن داريّو النيكاراغوي (1867) وخوليو إرّيرا إي ريسيغ (Julio Herrera Y Reissig)(أوروغواي) ولوغونيس وسارميينتو (الأرجنتين) وخوسيه مارتي (José Martí) (كوبا). وتواصل على يد كتّاب لاحقين كبورخس (الأرجنتين) وجورج أمادو (Jorge Amado)(البرازيل) واوكتافيو باث (Octavio Paz) (المكسيك) وغابرييل غارثيا ماركيث (Gabriel García Márquez) (كولومبيا) وليثاما ليما (Lezama Lima) وأليخو كاربنتيير (AlejoCarpentier)(كوبا) وباولو كويللو (Paulo Cohello) البرازيلي المعاصر. وكان للهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية في نهاية القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، أثر كبير في لفت الأنظار إلى الشرق مع وصول المهاجرين العرب الذين كانوا يحملون جنسية الدولة العثمانية، الأمر الذي حدا بالسكّان الأصليين في بلدان أمريكا اللاتينية على مناداتهم بـ"الأتراك"، وهو ما يسهل تقصّيه في أعمال الكثير من الكتاب الذين وردت أسماؤهم آنفاً [35].

الخاتمة

يبقى بورخس نموذجاً فريداً في عالم الاستشراق، لأنه أطلّ على الشرق عبر بوابات الاستشراق الأدبي المتعددة، الأوروبية والأمريكية اللاتينية، واغترف من تراثه لذا فهو لا يقف فيه موقف المهيمن المتعالي على الآخر، بل وظف معارفه لصالح الأدب والمعرفة وحسب. بهذا يصلح أن يكون نموذجاً للاستشراق اللانفعي، الاستشراق المعرفي الذي يكتفي بالمعلومة لذاتها بهدف الاستمتاع الفكري واللذة الأدبية التي ينشدها القارئ. وما إعجابه الشديد بـ"ألف ليلة وليلة" بدءاً بالعنوان ومروراً بالمضمون والأسلوب وصولاً إلى تقليد بعض حكايات هذا العمل أو انتحال مقاطع منه، إلا نموذج ساطع لهذه

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

المتعة التي بحث عنها في قراءاته [36]. وهذا ما أوضحه في كتاباته، خصوصاً حول كتاب "ألف ليلة وليلة" فهو لم يوظّفه للإساءة للعرب والمسلمين على غرار ما فعل كثير من المستشرقين الذين قدّموا من خلاله "الحياة العربية والإسلامية وكأنها كينونة قدرية يمتطيها سلاطين قساة، وتنخرها شهوانية تعدد الزوجات والحريم، كينونة لا يتوفر فيها الحدّ الأدنى من الأمان أو التيقّن" [37]، بل تحدّث عنه ككتاب يهدف إلى المتعة الخالصة والتسلية وبهجة الاستكشاف. كما أنّ بورخس اليميني بأفكاره المحافظة لم يتعامل مع هذا المؤلف كوثيقة اجتماعية وتاريخية، بل كنمط قصصي فولكلوري يراد منه الإمتاع والتسلية والحكمة. وهو في حديثه عن الشرق والغرب ينطلق من فكرة الحوار بين الاثنين، مردداً أن "ألف ليلة وليلة" قد مثّلت "حواراً" بين الشرق والغرب، حواراً لم يخل من بعض الحلقات الدامية باعترافه هو.

لكل ما تقدّم بوسعنا القول إنّ مصادر بورخس الاستشراقية المتعددة بكل ما قرأه واطّلع عليه من نتاجات أدبية وفنية وفكرية، تنتمي إلى العالمين العربي والإسلامي وتأثّره بها وتفاعله معها من خلال قصصه وشعره ومقالاته، يمكن أن يندرج تحت عنوان الاستشراق المعرفي وتجسيده الأرقى: الأدب. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك حين شعر بحاجته إلى التعمق في معرفة هذا الشرق، من خلال تعلّم لغته العربية في أخريات أيامه في جنيف على يد مدرّس مصري [38]، إلا أن الموت قطع مشروعه في قراءة تراث شرق عرفه ونهل منه الكثير عبر لغات أخرى [39].

الهوامش:

1- بورخس والاستشراق الأدبي والمعرفي: هو عنوان دراسة أخرى معدّة تبحث في دوافع هذا الاستشراق ومظاهره لدى بورخس، انطلاقا من طروحات المستعرب الأسباني الكبير البروفيسور بيدرو مارتينيث مونتابيث التي تؤكد على تعدد أشكال ودوافع الاستشراق وضرورة التعامل مع كل نوع من الاستشراق حسب طبيعته وأهدافه.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

2- كتب بورخس زاخرة بهذه الآثار من بينها دواوينه الشعرية: "توهج بوينوس آيريس"، " الآخر والذات"، "الصانع"، "مديح الظل"، "ذهب النمور"، "العملة المعدنية"، "الرقم "، "المتآمرون".. . وكذلك أعماله القصصية: "التاريخ الكوني للعار"، "قصص"، "الألف"، "تقرير برودي"، "كتاب الرمل".. . ومن كتبه النقدية: "حجم أملي"، "لغة الأرجنتينيين"، "تاريخ الأبدية"، "استقصاءات أخرى"، "سبع ليال" وسواها من الأعمال فضلاً عن تلك التي كتبها بالاشتراك مع كتاب آخرين.

3- José Ramírez del Río; "*Borges, Al- Mundir de Hira y La Lotería de Babilonia"*, Variaciones Borges, 16/ 2003, p. 16, Universityof Aarhus, Dinamarca.

4- Barnatán, Marcos- Ricardo, Borges, Biografía Total, Temas de Hoy, Biografías, 1995, España, pág. 51.

5- Norman Thomas, Di Giovanni, Autobiografía (1899-1970). Título original AutobiographicalEssay, El Ateneo, Argentina, 1999, p. 29.

6- Borges, Jorge Luis, ObrasCompletas III, EMECE Editores, Barcelona, 1997, P. 68.

7- Borges, Jorge Luis,*Museo*, ObrasenColaboración, EMECÉ, Argentina, 2002, p. 94.

8- Borges, Obras Completas I, p.582.

9- Borges, Jorge Luis. Borges, libros y lecturas, Catálogo de la colección Jorge Luis Borges en la Biblioteca Nacional. Edición, estudio preliminar y notas: Laura Rosato y Germán Álvarez. Biblioteca Nacional, Buenos Aires, 2011

10- Borges en SUR, 1931-1980, EMECE, 1ª edición, España, 1999.

11- Ortiz, Lautaro. Árabes 1: Poemas, crónicas y relatosenSudamerica, EIMFC, p. 17.

12- Borges, Jorge Luis y Casares, Adolfo Bioy: Seis problemas para don Isidro Parodi**.** EMECÉ, Argentina,1995.

13- Borges, Jorge Luis, Siete Noches, *Las Mil y Una Noche*, Obras completas, p. 232.

14- Borges, Autobiografía. P. 25- 26.

15- كتاب سيرة بورخس كثيرون، من أهمهم:

Emir Rodríguez Monegal, María Esther Vázquez, Alicia Jurado, Roberto Alifano Alejandro Vaccaro, Woscoboinik, SilvinaBulrich, Estela Cano, Sara Kriner de Haines, …

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

16- Matamoro, Blas: Diccionario privado de JLB, Ediciones Altalena, Madrid 1979
17- Bravo, Pilar y Paoletti, Mario: Borges Verbal. EMECÉ, España, 1999, p.62- 63.
18- Monegal, Rodríguez: Borges. Una biografía literaria,México, fondo de Cultura Económica, 1987
19- Borges, Jorge Luis: Obras Completas I, EMECE Editores, Barcelona, 1997, 397 p.
20- Borges, Textos recobrados (1956-1986), "El taller del escritor", Buenos Aires, 2003, p. 353.
21- British RomanticWriters and the East: AnxietiesofEmpire, byNigel Leask, James Chandler (Editor), Marilyn Butler (Editor).
22- Borges, Jorge Luis, Obras Completas I, EMECE Editores, Barcelona, 1997, p. 51.
23- Assens, Rafael Cansinos, Mahoma y el Korán, Arca Ediciones, Madrid 2006, p. 11.
24- Borges, Jorge Luis, El Aleph, El Zahir, Obras Completas I, p. 589.
25- Borges, J. L. ObrasCompletas I, P.444.
26- Medina, Antonio: Cervantes y el Islam, El Quijote a Cielo Abierto. CARENA, 2005.

يمكن أيضاً مراجعة أطروحة الدكتوراه للباحث الدكتور محسن الرملي من العراق حول: "تأثيرات الثقافة الإسلامية في الكيخوتة".

27- قام بترجمتها الدكتور الطاهر أحمد مكي وقدّم لها بدراسة قيّمة صدرت عن دار المعارف بالقاهرة عام 1970 تحت عنوان "ملحمة السيد أول ملحمة أندلسية كتبت باللغة القشتالية".

28- تنظر دراسة الدكتور وليد صالح الخليفة "البصمة العربية في كتاب الحب المحمود":

http://www.hottopos.com/collat6/waleed.htm

29- Jurado, Alicia, Borges. Genio y Figura de Jorge Luis Borges, EUDEBA S. E. M., Buenos Aires, 1997, p 40.

30- تنظر الترجمة العربية لكتاب "جوته وبعض شعراء العصر الإسلامي" تأليف كاتارينا مومسزن، ترجمة الدكتور عدنان عباس علي ديوان المسار، بغداد 2005.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163

31- Macías Brevis, Sergio, InfluenciaÁrabeen las LetrasIberoamericanas, Fundación CajaRual. Spain, 2009.
32- De Miranda Francisco, Colombia, Caracas, Presidencia de la república, 1979.
33- Taboada, Hernán G. H., Un Orientalismo Periférico: Viajeros Latinoamericanos, 1786-1920. Estudios deAsia y Africa XXXIII, 2, 1998.
34- Gasquet, Axel:TRANSMODERNITY: JournalofPeripheral Cultural Productionofthe Luso-HispanicWorld, 2(2), 2013. http://escholarship.org/uc/item/5b75d9bd#page
35- G. H. Taboada, Hernán, Los orientales y el nombre. Estudios de Asia y África, vol. XLV, núm. 1, enero-abril, 2010, pp. 201-208, El Colegio de México. México.
36- Jorge Luis Borges, *Siete Noches*, "Las Mil y Una Noches" O.C. IV, EMECÉ, p. 232.
37- ينظر كتاب الدكتور محمد الدعمي "الاستشراق، الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006، ص208 .
38- Fernández- Santos, Elsa, "Borges se agranda después de Borges", El País, el 11 de junio de 2011.
39- هذا الوجه الاستشراقي المعرفي لا ينفي الجانب الآخر من شخصية بورخس واهتمامه الشديد باليهودية كأفق معرفي إنساني في بادئ الأمر، ليغدو لاحقاً موقفاً صبّ في مصلحة الكيان الصهيوني الذي احتفى كثيرا ببورخس ما أدى إلى حجب الوجه الاستشراقي المعرفي (العربي–الإسلامي) له. وهو موضوع دراسة معمقة لا يتسع لها المجال في هذا البحث.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1163